الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية

د. عباس رحيم عزيز

مادة الأدب الجاهلي

المحاضرة الثالثة

مرحلة النشأة:

تباينت آراء العلماء والنقاد قدماء ومحدثين حول ملامح المرحلة التي سبقت المقطعات، وان اتفقت على أنها تمثل مرحلة النشأة، أو البداية الأولى.

فقد قال بعضهم: أن السجع أصل الشعر العربي، وانه لم يتطور مباشرة إلى شكل القصيدة، بل تطور في البداية إلى مقطعات قصيرة للغاية كلها على وزن بحر الرجز، وعلى هذا القول يمكن القول بأن الرجز أول أشكال الشعر العربي التي ظهرت وهو امر تؤيده الشواهد الشعرية التي جاءت كلها على بحر الرجز.

من المعروف أن الرجز يتكون من شطرات - هي بمثابة الجمل، أو أجزاء الجمل – وان كل شطرة منها مقفاة بالضرورة، وهو بذلك أقرب شيء للسجع، بل هو السجع نفسه.

وهناك من يرى أن الغناء هو أصل الشعر العربي (فلما وجد العرب المنثور يند عليهم، وينفلت من بين أيديهم، ولم يكن لهم كتاب يتضمن أفعالهم، تدبروا الأوزان والأعاريض، فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء، فجاءهم مستويا، ورأوه باقيا على مر الزمن، فألفوا ذلك وسموه شعرا.

ويتفق هذا الرأي مع ما رواه أبو حيان التوحيدي، أن لبعض الشعراء في الجاهلية أوزانا لا تتقبلها طباعنا، ولا تحسن في أذواقنا، وهي عندهم مقبولة موزونة، كقول المرقش الأكبر:

**لابنة عجلان في الجو رسوم لم يتعفين والعهد قديم**

ويتوسط آخرون في بحث العلاقة بين الشعر والغناء انهما توأمان، ارتبطت ولادة أحدهما بالآخر، فالشعوب القديمة كالبابلية والمصرية كانت تقرن شعرها بالموسيقى، إذ كان الشعر في المعابد نوعا من التراتيل الموجهة للآلهة.

وان التلبيات أمثلة لهذا الاقتران عند العرب، وقد ذكر المعري أنواعا منها عدت عملا أدبيا ينتسب إلى الشعر، والرجز، والنثر المسجوع، إضافة إلى ما أورده القدماء من أمثلة تغني أصحابها بالرجز، وهم يسقون إبلهم، أو يستخرجون الماء من الآبار، أو عند ترقيص الأطفال

وذهب ابن خلدون ابعد من ذلك حين عد الشعر والغناء شيئا واحدا، وقال أن الترنم بالشعر يسمى غناء.

ويرى نقاد آخرون أن الحداء أصل الشعر العربي، هو أول السماع والترجيع، ثم اشتق الغناء منه، وان الوزان الشعر العربي نشأت من الحداة والرعاة، وكانت على صلة بحركات المطي من الإبل والخيل، وان الرجز كان أوسعها انتشارا، سواء كانت الغاية دينية مرتبطة بالتراتيل والأناشيد، أم اجتماعية مرتبطة بالحداء، أو أغاني العمل والترقيص.

وعلى أساس هذا الافتراض، نستطيع أن نقسم عصر الجاهلية الأدبي إلى مراحل:

* **المرحلة الأولى:** مرحلة النشأة والولادة، وهي غامضة، والآراء حولها متضاربة، وقد أشرنا إلى بعض منها ولا يمكن الجزم بصة أي منها، أو ترجيح راي على آخر، لأنها لا تتعدى حدود الافتراض نولا نملك أية وثيقة تاريخية نجزم من خلالها بصحة الراي.
* **المرحلة الثانية:** مرحلة المقطعات، وهي غامضه أيضاً، ولم نستطع أن نتبين من ملامحها شيء، سوى ما أشار اليه ابن سلام وغيره من النقاد القدماء.
* **أما المرحلة الثالثة:** هي مرحلة القصيد وذهب العلماء والنقاد إلى أنها ترجع إلى ما قبل الإسلام بقرنين على ابعد تقدير، واتفقوا على أن المهلهل بن ربيعة، وامرأ القيس كانا من أشهر أعلامها، إذ أرسيا تقاليد فنية لشكل جديد في الشعر العربي هو (القصيد).

وقد قسم النقاد الشعراء إلى أجيال شعرية:

* **الجيل الأول:** جيل المهلهل وامرأ القيس، وطرفة بن العبد، وعلقمة الفحل، والحارث بن حلزة اليشكري، وعمرو بن كلثوم، والمتلمس، وتدل أخبارهم على انهم ظهروا في حرب البسوس وما بعدها، إلى بداية حرب داحس والغبراء، وقد شكل هؤلاء مدرسة فنية متميزة، اطلق عليها النقاد تسمية مدرسة (الطبع)، لأنها تمثل منهجا فنيا يقوم على أساس من العفوية والتلقائية يمارس الشاعر من خلالها عملة الفني من غير تكلف أو تصنع، ويعبر عن نفسة تعبيرا مباشرا لا اثر فيه لمكابدة أو معاناة نوهم الجيل الأول من الشعراء الجاهليين، الذين وصلتنا أخبارهم ونماذج كاملة من أشعارهم .
* **أما الجيل الثاني:** فهو جيل الشعراء الذين عاصروا حرب داحس والغبراء، وقد ظهرت في شعر أكثرهم أثار (ألصنعة) التي كانت مدعاة أن يصفهم النقاد بعبيد الشعر، لما كانوا يتكلفونه من جهد وعناء ومكابدة في صناعة شعرهم، ومنهم أوس بن حجر، وأستاذه الطفيل الغنوي الملقب بالمحبر لحسن شعره، وزهير بن أبي سلمى، وخاله بشامة بن الغدير، وعاصرهم قيس بن زهير، وعنترة بن شداد الشاعر الفارس الذي ذاع صيتة، والنابغة الذبياني الذي شهد حرب الحرب بين (ذبيان) و(عبس)، وطائفة أخرى من الشعراء كالمنخل اليشكري، والأسود بن يعفر، والشفري، وتأبط شراً، وسلامة بن جندل.
* **أما الجيل الثالث:** هم جيل الشعراء الذين ظهروا في زمن قريب من ظهور الإسلام والمخضرمين ومنهم الأعشى، وبشر بن أبي الأسد، والحادرة، وحاتم الطائي، وقيس بن الخطيم، وعروة بن الورد، وعامر بن الطفيل.